العدد (2084) السنة الثامنة - الثلاثاء (29) اذار 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

من فرط ما حاصرنا الشك نسينا لذة اليقين

محمد سعيد الصكار
mohammed_saggar@yahoo.fr

تأخذ الحقيقة مدارها رغم العثرات والكوابح التي تعرقل مسيرتها، وهي كثيرة ومتنوعة؛ ولكن أكثرها شراسة هو محاولة تعطيل العقل في تفسير الظواهر، والوقوف في دائرة الحق، حيث تترنح الحقيقة بين الشك واليقين؛ و غالباً ما يكون الشك أرجح.

أنا، كعراقي، ساقط بين طرفي المعادلة؛ الشك واليقين، بسبب شراسة الضغط على عقلي لكي يقبل بما يراد له أن يقبل.

يراد لعقلي، ولعقول أمثالي أن يصدقوا أن الحكومة الحكيمة قد تعبت من البحث عمن يليق بتسنم الوزارات الأمنية، بعد بحث حثيث، وتدقيق دقيق، ودوخة رأس في ملفات عشرين مليون شخص في العراق الجديد، وصولا إلى ثلاثة أشخاص فقط جديرين بهذه المناصب.ومع علمنا البسيط بدواخل الأمور وملابسات الحياة السياسية، والتواطؤات والمداهنات والمجاملات وتفضيل الخد على العين، نتساءل:

أليس في هذا إهانة لهذه الملايين الصابرة والمصدقة بوعود المنتفعين المسكين بزمام الأمور؟
أليس فيه تعطيل للعقول، واستخفاف بها؟
أليس فيه عدوان على الحقيقة؟
ألا يستحق المساءلة والحساب؟

هذا اللعب بأعصاب الناس ومصائرهم الذي جاء به المنتفعون بمركب المحاصصة التي ابتدعوها يعطل العقل، ويموه الحقيقة، ويربك سياق الحياة السوية لعشرين مليون إنسان، ويريدوننا أن نصدقه ونقبل به، بل وندعو إليه.

كيف نصدقه؟ وكيف نقبل به؟ ولنا عقول تقول:

خل عقلي يا مسفهه إن عقلي لست اتهمه
للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه

وأقدامنا التي تدربت على طرق الحقيقة الوعرة، وكشفت محاسنها ومساوئها، وحملت ما حملت من العناء والأوجاع، وهي لم تتعب بعد، تسألنا الآن:

أما آن لهؤلاء الباحثين في ظلمات الملايين من العراقيين عن ثلاثة أشخاص فقط، تتعطل الحياة من أجلهم، وتتوالى الشهور في انتظارهم، بلا أمل، أن يسأموا أو يتحرجوا من التلاعب بعقول الناس؟!

أتمر علينا كل هذه الشهور ونحن نبحث بالإبرة، وبلا كهرباء عن هذا الكنز المخبوء في أكداس الهشيم من وعود زعمائنا؟هل يكون لمن يستخف بعقول عشرين مليون إنسان، من أجل ثلاثة أشخاص، أن يدير هموم أمة، وأن يكون قيما على حياة أبنائها ومصائرهم؟

تعالوا لنقرأ معا هذا الخبر المنشور في (المدى) يوم ٢٠١١/٣/٢٣:

(قالت مصادر سياسية مطلعة إن التنبؤات والأسماء التي تطرح في الإعلام عن الاتفاق حول شخصيات لشغل الوزارات الأمنية بعيدة عن الواقع السياسي، موضحة أن التفاوض في هذا الملف ما زال قائماً ومحل نقاش بين الكتل السياسية).

عظيم !فقد كان عدد من قرأ هذا الخبر ٦١ قارئا فقط!

هنا دلالة غير لافتة لنظر السياسيين وكتلهم،كون عدد قراء الموضوع الذي اقتطعنا شيئا منه أعلاه، كان حتى يوم (٢٠١١/٣/٢٣) ٦١ قارئا فقط، وهو عدد فقير جداً يوحي بعدم اهتمام الناس بالموضوع أصلاً، ٦١ قارئا من بين عشرين مليون قارئ عراقي وعراقية !طبعاً، ليس رأي الناس واهتمامهم ذا قيمة عند أرباب الشأن المتنازعين على المناصب، وإلا لكانوا قد انتبهوا إلى هذه المفارقة ذات الدلالة على جزع الناس وانعدام ثقتهم بما يدور من مداولات الكتل السياسية المسؤولة و (غير المسؤولة)؛ مما يمكن إن يكون مقياسا لقناعة الناس بحكامهم لدى الدول المحترمة، في حين يتساوى لدينا مجيء سعد وذهاب سعدان، لأننا لم نلمس منهما أي خير. وهو موقف في غاية الخطورة حين لا يعبأ الشعب بحكامه وقراراتهم رغم وجود دستور وقوانين، فذلك علامة الخذلان وانعدام الثقة و غياب التصديق بالوعود الفارغة مما يحمّل المسؤولين والكتل السياسية مسؤولية انكسار أمل الشعب، وعدم اطمئنانه على مستقبله، وتوجسه من استمرار لعبة المناورة والمماطلة والتأجيل دون سقف زمني منظور.

يجري ذلك في عملية تكاد تكون محسوبة لتعطيل العقل، وتخدير المشاعر، والتسلل من خلال ذلك إلى مآرب أخرى.

أما آن لهذه العقول المحاصرة أن تنهض وتقول: لا؟ بلى ! إنها لتنهض، نهضة شابة مباركة، تعيد للعقل آلياته وموازينه، وتنتشله من بركة المحاصصة والمساومات، وضباب الرؤية والتمويه والمداهنة والمناورة والمماطلة.

وفي شبابنا؛ شباب الأمل والتجديد دائما، كما هو العهد.

باريس ٢٣/٣/٢٠١١
العنوان من تأملات عبد الحق البغدادي – للكاتب

حرية مشروطة في اتحاد الأدباء

احتجاجات في عالم عراقي فنتازي

المدى الثقافي

ضمن نشاطاته الأسبوعية في اتحاد الادباء والكتاب العراقيين ،تم عرض الفيلم الوثائقي (حرية مشروطة) للمخرج سعد سلوم ،وهو من إنتاج مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية و الإعلامية .

الفيلم يتناول تحديات حرية التعبير في عراق مابعد عام ٢٠٠٣ من خلال سرد قصص متميزة عن حرية التعبير ورسم آفاق هذه الحرية في عالم عراقي فنتازي يتحول كل ماهو صلب فيه الى أثير.

قدم الجلسة الحوارية حول الفيلم الناقد علي حسن الفواز الذي قال بعد العرض : ان هناك أمراً يتعلق بحرية الإنسان ،أمراً يتعلق بالدولة أمراً يتعلق بالقانون، أمراً يتعلق بالوعي الجديد للديمقراطية ،إزاء كي هذه المعطيات كيف لنا ان نشكل وعيا مدنيا ؟ كيف لنا ان نشكل سؤالا كبيرا ،يمكن إن يكون البوابة لأن نتعاطى مع استحقاقات هذه الديمقراطية الجديدة والدولة الديمقراطية الجديدة ،نحن لا نطرح مفاهيم للثورة المجانية ،ولا نطرح مفاهيم للثورة الدائمة ،ولا نطرح مفاهيم الاحتجاج الذي يلوح بالقبعات ،نحن نطرح مسألة تتعلق بالوعي تتعلق بالمواطنة وتتعلق بالحقوق الوطنية .

ثم تحدث الكاتب والإعلامي سعد سلوم وقال نحن مؤسسة ثقافية ونصدر مجلة ثقافية منذ ست سنوات وهذه هي الفاعلية الأولى لدينا مع اتحاد الأدباء،الفيلم عرض عدة مرات وكان العرض في عدة محافظات ،وما كان يشغلني كيف يفكر الناس بهذه القضية، قضية حرية التعبير ،كيف يفكر الأدباء، الأكاديميون ،المثقفون والإعلاميون ،رجل الشارع العادي ،وكانت هذه العروض متزامنة مع ما حصل من تغيير في المنطقة ، وتحول في تونس وفي مصر، والآن شمل هذا التفاعل المتسلسل هذه المنطقة العربية بشكل عام، لهذا أنا أريد بشكل شخصي ان اسمع منكم فرسالة الفيلم تصل من خلال النقاشات ومن الأجدى أن نتناقش .

وكان هناك الكثير من الطروحات التي قدمها الحضور حول الفيلم والتي حققت بعض الفهم المتميز لدى المثقف وكيفية استعارة الأسئلة التي تتميز حول مفهوم الحرية، والذين يدافعون حول هذا المفهوم هم جنود مجهولون .

وأكد المفكر والباحث ضياء الشكرجي قائلاً : في الواقع الحرية إلى جانب الإنسان ينبغي ان يكونا العنوانين الأساسيين في عملنا كمثقفين وكمؤمنين بالحرية ،واعتبر هذا الفيلم هو جهد او مجموعة جهود من قضية النضال الذي هو اشرف نضال حاليا من اجل الحرية والدفاع عن الحرية ،ورفض ان تكون الحرية مشروطة إلا من اجلها هي ،ممكن ان تكون هناك حرية لقتل الحرية ،بالإمكان قتلها من خلال الشرط ،والتوجهات السياسية التي لا تؤمن بثقافة الحرية ،او بالأعراف والتقاليد ،وأقول إن من اشد ألوان الكفر عند الله هو الذي يؤمن به ولكن باسمه يقتل الحرية ،لأن الله لا يمكن ان يشرع بالجريمة وهي من اكبر الجرائم قتل الحرية ، او الاعتداء على حريات الآخرين ،نحن نحتاج إلى أبطال ونحن كلما تجاوزنا الخطوط الحمر اقتربنا من الموت ،ولا نترك واحدا وحده يقتحم الخط الأحمر ،وهي في الواقع ليست خطوط حمر وإنما نؤسس لثقافة الحرية.

وماتت غريس.. صعوبة البوح بفقدان الأحبّة

إيمان قاسم ذيبان

أب وحيد تنتابه لحظات الانهيار عندما يعلم بمصير زوجته التي توفيت في العراق وبات هاجسه نقل هذا الخبر إلى ابنتيه الحبيبتين.

يعمل ستانلي فيليب، وهو مواطن عادي ووطني متحمس، في مجلة لتصميم الأقمشة في إحدى مدن الولايات المتحدة الأميركية، في الوقت الذي تشارك فيه زوجته بالعمل العسكري ضد إحدى الخلايا الإرهابية المتوطنة عند ضفتي نهر الفرات في العراق.

وكان لوفاتها الأثر الكبير في قلب مجرى الأحداث. فقد تغيرت حياة الزوج البسيط كلها إلى أوقات استثنائية.

وبمرور الزمن، أضناه الحزن وقهرت قواه، فالتزم الصمت ومنع نفسه عن الكلام.. وبات غير قادر على إعلان خبر وفاتها إلى ابنتيه الصغيرتين مقترحا عليهما السفر إلى متنزههما المفضل والجذاب في فلوريدا. وهي سفرة غير متوقعة جعلته وجها لوجه مع آلامه ومعاناته، على أمل إيجاد الوقت المناسب والكلمات المناسبة ليخبرهما بهذه الحقيقة المؤلمة. في حين أمده صوت زوجته في مسجل الهاتف بعزاء ضئيل وتسلية لا قيمة لها بينما بقي يبحث عن أسلوب ما لتقاسم هذا الحزن الجديد مع الآخرين.

ولم يُحسن الممثل (جون غوساك) مواراة مشاعره الذاتية في هذا الفيلم المؤثر الذي نجح في انتزاع الدموع من عيون الآباء، مُدينا الالتزام الأميركي تجاه العراق. وعبر عن الوسائل المتاحة لإبرام مثل هذا الالتزام، إلا أن الإفراط في تفخيم العبارات أماط اللثام عن هذه الدراما الجديدة والمعاصرة وبشكل متناقض للكشف عن حقيقة مدى قوة الدولة الاميركية.

وتعزى أسرار تصوير الفيلم إلى أمرين هما: أصل المشروع ومن ثم الأسباب الروحية. ويتعلق الأمر الأول بمخرج الفيلم (جيمس س ستروس) الذي روى لنا كيف واتته فكرة الفيلم قائلا: "أدين ببواكير هذا السيناريو الجميل إلى الذكريات الشخصية القديمة للغاية ولبرنامج حديث، عرض مؤخرا، يلتقي بأسر الجنود الذين لقوا حتفهم في العراق. ولطالما سألت نفسي كلما رأيت هؤلاء كيف يمكن لمنظومة القيم لديهم أن تستمر مع فقدان شخص عزيز عليهم؟".

في حين تنطبق الأسباب الروحية على الممثل (جون غوساك) الذي أراد وقبل كل شيء المشاركة في مغامرة هذا الفيلم لأسباب سياسية. فقد وجد بطل الفيلم ومنتجه في آن واحد، في هذا العمل، مشهداً فاضحا للحاجز الإعلامي الذي وضعته إدارة الرئيس بوش حول وفاة الجنود الأمريكان في العراق. وصرح قائلا: "يُعد التضليل الإعلامي وترك الجنود وحدهم من الأمور المشينة ومن الأعمال السياسية (الجبانة) التي لم أرَ مثيلا لها في حياتي".

كما يعتمد فيلمنا المثير للفضول وتزامناً على رسم لمسار طويل وبشكل ذائي يجعلنا على إطلاع بمضمونه الدرامي وبقسوة نبأ الموت المعلن للطفلين.

وعبر عن دراما اختفاء الوالدة (الجندية) بكثير من الانفعال والدقة ليجعل حزنٍ ومصاب الزوج أكثر عذابا وتأثيراً. وزادت وسائل التسلية، التي أنهك نفسه في طلبها، من شعوره بالحسرة. وبعبارة أخرى، يمكننا القول أن الشخوص الثلاث (الزوج وطفلتيه) هم الذين حافظوا على الفيلم المليء بابتسامات تقرح القلب عبر هذه السفرة المصورة بدقة وبحقيقة بسيطة ومؤثرة، سفرة لم تتوقف عن التعمق في الحزن والانفعال بفضل موهبة غوساك الذي وصف لنا أباً محطماً، تفتك به الكثير من الهموم. كما نقل خبر موت (غريس) بحب وعاطفة جياشة مع وجود ممثلين كوميديين خلقوا أجواء مغايرة. ويمكننا القول أن ستروس ترك في هذا الفيلم بصمته الأولى وراء الكاميرا. وقدم المخرج الشاب، الذي تناول موضوع العراق مع كثير من النضج المثير للدهشة، تأملاً عميقاً للعذاب النفسي لحظة انهيار هؤلاء الذين يبقون بعد فراق الأحبة. كما جسد ستروس هذا العمل بشكل صائب ودقيق بعد كتابته سيناريو الفيلم وإخراجه في آن واحدٍ وبقدرة جريئة ونظرة حادة. وابتعد، وهو متشبث بيوميات شخصية وحميمة، عن أي موقف مناصر لمناهضة الحرب. وطرح المخرج بوصفه تلميذا لسقراط جملة من الأسئلة: كيف نعلن لأطفالنا رحيل شخص قريب علينا؟ وأنى نبقى مخلصين لمنظومة قيمنا في الوقت ذاته؟ وكيف سنواجه المقبل بعد هذا المصاب؟

رغم كل ذلك، تجنب (وماتت غريس) أي معالجة بصرية واعتمد بالكامل على الفن وعلى أداء الممثلين. كما نجح في فرض نفسه بوصفه إحدى المسرحيات الكبيرة في السينما الأميركية المستقلة.

وفي نقد آخر أعده موقع (إيفين) الالكتروني، يُعرف فيلم غريس على أنه موضوع مُثير للبكاء ومحزن ومجرد من أي حبكة درامية. لا بل ويمثل مختصرا لجملتين. ويتمحور حول ثلاث شخصيات اثنان منهم لا يتجاوز الثالثة عشرة، يجلسون في متنزه ساحر وجذاب. ويُعد هذا المكان نقطة لانطلاق الفيلم. ونجد في بدايةً تحديا كبيرا لمخرج شاب معروف للتو بكتابته السيناريو الرائع لفيلم (لويزنوم جيم). ومال مخرجنا، مع ذلك، إلى الابتعاد عن عقبات الميلودراما ووصف بأسلوب وثائقي نوعا ما، انتظارا لا يقاوم لأسر الجنود المشاركين في حرب العراق، ليبرهن الفيلم على قدرة ابتكارية واختراعية بلا تشققات أو تصدعات على غرار الرسائل التي تركها (ستانلي فيليب) لزوجته المتوفاة.

ومن ناحية أخرى، شارك غوساك، وبجهود استثنائية، في إنجاح هذا العمل تماماً مثل (غلينيت ايستوود) الذي وقع على النسخة الأصلية لموسيقى الفيلم. وكان أداء الأول بارعاً ليجسد، وبصورة مفجعة، والداً يسقط في الهاوية بشخصية ذات تناقضات عديدة. وكان الممثل مقتدراً بالأداء بحيث سبب للمشاهد نوعاً من التفاعل والتأثر مع أحداث الفيلم. بينما أبدع استوود في استخدام موسيقاه. فهي لم تأت لتشتت الصور أو تزاحمها بكلام مفخم وخانق، وإنما للدلالة وبأسلوب لا مرئي تقريباً على إخراج استثنائي، قلما يلاحظ على المخرجين في فيلمهم الأول.

ويُعد ستروس كاتباً عبقرياً للسيناريو، فهو يعرف كيف يعرض ممثليه في الوقت المناسب لكي لا تكون كلماتهم زائدة ولا حاجة لها. وكانت مشاهد الفيلم في البداية محددة ودقيقة ومثيرة لمشاعر من عدم الفهم واستحالة الاتصال بين الشخوص لتتلاشى هذه المشاعر ببطء وتدريجياً أمام كاميرا متذبذبة تتوجد أمامها أسرة فيليب لتواجه الحقيقة القاسية.

وقد يمثل الفيلم مرآة لحرب شوارع تبدو للوهلة الأولى وكأنها ستحدث تغييراً في مسيرة دقيقة للغاية لتصبح غير محسوسة. ويمكننا القول أن ستروس يمتلك موهبة حقيقية بوصفه راوياً أثار قضية أساسية من دون إثارة نوع من الجدل أو الحرب الكلامية. ويمثل هذا الأمر السمات الأولى لفن السينما الملتزم. فكل واحد منا حر ليرى في دراما هذا المخرج الرسالة التي يتمناها ولكن تبقى الرسالة الأكثر وضوحا هي أن (وماتت غريس) هو فيلم كبير وخالد.

صدر عن دار المدى

"من لا يعرف ماذا يريد".. سرد توثيقي للعراق بعد ٢٠٠٣

د. جمانة القروي

رواية الكاتبة العراقية المبدعة سميرة المانع الصادرة عن دار المدى للنشر والثقافة في ٢٠١٠، قبل بضعة أسابيع تجولت في معرض المدى للكتاب في اربيل ، وكعادتي أتجه دائماً إلى رفوف الرواية والقصة القصيرة، لمتابعة الإصدارات الجديدة منها، فهذا النوع من الفن يستهويني .. من بعيد استرعى انتباهي غلاف فيروزي اللون، وما ان قرأت اسم الكاتبة حتى أصبح ضمن مجموعة الكتب التي اشتريتها.

منذ زمن وأنا أتابع الروائية سميرة المانع، ومن حسن حظي اني قرأت جميع رواياتها السابقة، ك (القامعون)، و(شوفوني شوفوني) .. و(حبل السرّة) .. وغيرها

كنت ما ازال اتصفح أوراق الرواية الجديدة (من لا يعرف ماذا يريد)، حينما اتصل بي احد الأصدقاء الشباب مَمن ولد وترعرع في ظلم النظام السابق الذي اسدل ستائره المعتمة على المثقفين العراقيين في المهجر، وحجب إبداعهم، سواء على صعيد القصة او الرواية او الفنون الأخرى.. لم أستطع إخفاء فرحتي بالرواية الجديدة ، فقلت لصديقي الشاب المهتم هو الآخر بالأدب والأدباء باني كنت محظوظة بشراء النسخة الأخيرة من رواية سميرة المانع الجديدة .. فما كان منه إلا ان فاجأني بقوله: "مَن سميرة المانع ، وهل هذه اول رواية لها "؟

كم تأسفتُ وتألمت حينما سمعت ذلك من رجل مهتم بالأدب ومتابعة كاتبيه بان روائية عراقية ومنذ عقود مثل الكاتبة سميرة المانع لا يعرفها أبناء وطنها الذين كانوا ومازالوا وفي جميع رواياتها همها وشغلها الشاغل، حيث انها عالجت الكثير من قضاياهم وشخوصهم بضمنها أمراض المجتمع العراقي في كل رواياتها وقصصها تقريبا .وقد رأيت من واجبي الكتابة عن هذه الرواية التي أمتعتني متمنيةً على الجميع قراءتها ..

إن القاسم المشترك في جميع الروايات الأديبة المبدعة سميرة المانع هو توغلها في النفس البشرية وبالذات العراقية منها، حيث استطاعت بلغتها الجميلة الخالية من الحذلقة والتعقيدات اللغوية الوصول إلى مكامنها فعكست بشكل واضح أغوارها.. كما حاكت رواياتها الأخيرة الواقع العراقي المعاصر بكل تفاصيله مستغلة الفلاش باك ، ومستخدمة أيضاً الأمثلة العامية المتداولة في مجتمعنا، مما أضفى الكثير من المصداقية والعمق لشخوص الرواية كلاً على حدة، وجعلت لكل شخصية نكهتها الخاصة بها ..

لقد اعتمدت الروائية أسلوب وتقنية إظهار المشاعر والأفكار عن طريق المنلوج الداخلي للشخصيات وبطريقة عفوية، بالإضافة إلى أسلوب التسلسل العفوي، او أسلوب الشيء بالشيء يذكر ، حيث ينطوي على جوهر هذا الأسلوب الفني، ما أن يذكر احد الأمور حتى يتداعى العقل إليه بشكل الجذب، سواء ما يحبه الفرد او يكرهه..بالإضافة الى انها استخدمت في أسلوب رواياتها عامة وبالذات (من لا يعرف ماذا يريد) العلاقات والسلوكيات التي سبقتها دوافع ونوازع متعددة ، وما ترسب في دواخل الإنسان وهذا ما يسمى بـ(تيار الوعي) ، وهو من الأساليب العصرية في الرواية الحديثة في القرن العشرين، ومن أهم رواده فرجينا وولف وجيمس جويس... وقد استخدمت سميرة المانع تيار الوعي بشكل واضح جدا حينما أخذت تنقل بترو ما تفكر به الصديقتان ، وما تتحدثان به بصمت كما لو إنهما تتحدثان مع بعضهما وهذا كثيراً ما يحصل لنا جميعاً.

لم يقف إبداع الكاتبة عند ذلك فقط ولا عند تشريح شخوص القصة، ودواخلهم بل تعداه إلى إشراك المتلقي في النشاط الإبداعي .. فهناك الكثير من صفحات الرواية التي يجب التوقف عندها، والإمعان في كيفية وصف الروائية للشخصيات بشكل واقعي وقريب جدا من حقيقة دواخل الإنسان، وأهم تلك الشخصيات ، وصفها للموظف المتعجرف في وزارة التربية والتعليم وأسلوبه في التعامل مع الآخر لمجرد ان أفكاره تتعارض او لا تتفق معه.. وهذا بالضبط ما يجري حالياً وبالماضي في العراق ، وللأسف فما تزال دوائر الدولة مملوءة بمثله و تعاني ممن يمارسون ذات الأسلوب غير الحضاري في التعامل مع الآخر، يدفعه لذلك اختلافه معهم في الرأي او العقيدة ..

اعتمدت الروائية أسلوب وتقنية إظهار المشاعر والأفكار عن طريق المنلوج الداخلي للشخصيات وبطريقة عفوية

الروائية سميرة المانع

كما عكست وضع العراق الحالي ما بعد سقوط نظام صدام حسين الدكتاتوري ، وكيف تعيش المرأة العراقية الآن والتي هي نصف المجتمع، وقد نجحت بتقديري نجاحا باهرا في مقارنتها مع أختها العراقية في سنوات الخمسينات والستينات وحتى بداية السبعينات من القرن الماضي وما نالته المرأة من حقوق تنازلت عنها في ظل ظروف حكم استبدادي شمولي ظالم ، مذكرةً بالجرائم التي ارتكبت بحق المرأة العراقية إبان ذلك النظام (كقتل النساء بالسيف بتهمة الدعارة)!! وعالجت بأسلوبها الفني الجميل كيف ان المرأة تعودت الخنوع والاضطهاد والارتداد والتقهقر .. (وذلك من خلال الحديث الذي دار بين الصديقتين العائدتين من توديع جثمان صديقتهما الثالثة إلى مثواها الأخير)! وحينما ربطت بين الماضي والوعي السائد آنذاك والحاضر في المجتمع العراقي في ما يخص المرأة مع بدايات القرن الحادي والعشرين ، وكيف ان المجتمع عاد إلى التزمّت بالأعراف والتقاليد البالية التي لم تعد تناسب او تنسجم وعصرنا الحالي، وعودة المجتمع العراقي إلى الوراء، فنسبة عالية من النساء والفتيات محرومات من التعليم، بالإضافة الى الحجاب المفروض عليهن وكذلك العودة إلى تزويج الفتيات في سن مبكرة جدا وفقدان الكثير من حقوقهن التي اكتسبنها عبر نضالهن لسنوات طويلة والتي ذهبت هباء منثوراً . عالجت الكاتبة في أكثر من صفحة في روايتها الردة الثقافية والاجتماعية الحاصلة في بعض أنحاء عالمنا العربي والإسلامي، لاسيما في ما يخص المرأة وعودة الأفكار القديمة التي كانت قد تحررت منها منذ عقود من الزمن . كما مرت الكاتبة بتاريخ العراق منذ أكثر من أربعة عقود مضت ، حيث انها سلطت الضوء على الكثير من الأحداث المهمة التي مر بها الوطن خلال تلك الحقبة من الزمن.

لم تغفل المبدعة سميرة المانع وصف الأماكن والشوارع مما حول شخوص الرواية إلى نماذج حية بشكل دقيق وجميل يجعلنا نحس وكأننا نسير في تلك الشوارع الماطرة ، او نجلس في بيوتها، او نتخيل وجوه شخوصها او ملابسهم وحتى سياراتهم، وفي أحيان أخرى نشعر بأننا من تلك الشخصيات.. عكست بشكل صريح وجميل، وبأسلوب يدخل إلى العقل والقلب مباشرة روح المرأة العراقية المغتربة ونفسيتها المنقسمة بين ما تربتْ عليه في بلادها وبين ما تعيشه في وطن فرض عليها العيش به ، ويجب عليها التأقلم معه، وحنينها الصامت إلى وطنها الأم بشكل منطقي وقريب جدا من الواقع. لم تنس الكاتبة أيضا تلك المشاعر الإنسانية حينما وصفت حب نهى لخطيبها ومعاناتها في الانتظار الطويل له بعد عودته من الحرب وكيف انتهت قصة حبهما بموته ، فهذا كان حال الكثيرات من العراقيات اللواتي فجعن بازواجهن او احبائهن ، نتيجة الحروب المتتالية التي قام بها نظام صدام.

في أكثر من مناسبة وصفحة في الرواية عكست الخوف العراقي لدى الشعب أثناء الحكم الدكتاتوري، وحتى استمرار ذلك الخوف عند أناس كثيرين بعد خروجهم من تلك البؤرة.

من خلال روايتها (من لا يعرف ماذا يريد)عكست نفسية العراقيين المغتربين ومعاناتهم كذلك بصدق من خلال حضور تعزية وفاة صديقتها القادمة من بغداد للعلاج التي تحدثت عنها بطلة الرواية لمياء ، وقد نقلت عبر كلماتها المتناسقة تصرفات وأسلوب تعامل العراقيين في الغربة مع بعضهم البعض، بشكل واقعي وحقيقي . كما عرضت في روايتها حال المهاجرين المختلفين في بريطانيا وكيفية تقبل المجتمع هؤلاء بكل ما يحملونه معهم من تخلف (حكاية المرأة الأفغانية التي لا تأكل لحم الخنزير، وزوجها يأكله لأنه رجل وله الحق في كل شيء ، لكنها امرأة لا تملك هذا الحق كما تدعي ، ص ٣٣)! جعلتنا الكاتبة نقرأ ما بين وخلف السطور ونقارن وان لم يكن ذلك في حسباننا بين المجتمعات المتطورة وبين المجتمعات المتخلفة . كما انها سردت أهم الأحداث العالمية، في أمريكا واليونان وأفغانستان مركزة على المنطقة العربية وبالذات على العراق بأسلوب قصصي بديع دون ان تدع الضجر يتسرب الى نفس القارئ .

كان لتداخل كلمات بعض الأغاني القديمة المحببة لمختلف الشرائح من الناس والتي سمعت لأول مرة منذ سنوات طويلة إلا ان موسيقاها ونغماتها مازال عالقا في الذاكرة بين سطور نص الرواية فأضيفت نكهة ومصداقية خاصة جداً .

تتسم رواية (من لا يعرف ماذا يريد) بطابع شعبي جميل سلس مفهوم وعميق من قبل كل الناس على اختلاف مستوياتهم، وباعتقادي هذه غاية من الصعب الوصول اليها او تحقيقها، مما يزيد من جاذبية الرواية فتصبح مقروءة من قبل الجميع ، كما يسودها ذلك النفس العراقي الأصيل والذي يغلب على معظم صفحات الرواية.

في هذه الرواية ، طرقت المانع باب العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ، وباعتقادي انها عكست حالة إنسانية بشكل جميل جدا خال من الإثارة الرخيصة عندما ذكرت العلاقة الحميمة بين البطلة وزوجها ووصفت بدقة التلاحم بينهما بحبكة جريئة ،وهنا اختلفت عن رواياتها السابقة حيث لم تكن تذكر هذا الجانب أبداً.

عالجت أيضا من خلال السرد القصصي لحياة البطلة لمياء المجتمع حين يستخدم الاحتيال بطريقة حضارية كاذبة مثل اليانصيب ، و في موضوع فتاة من أفريقيا ترسل لها رسالة إلكترونية على الكومبيوتر تطلب منها مساعدتها على الاحتفاظ بثروة والدها، الذي اغتيل في بلدها، في المصرف عندها بلندن ثم تحويل المبلغ لها بعدئذ، وهذه من الأمور المعروفة في التزوير والخداع الالكتروني اليوم لاسيما في ظل ثورة المعلومات والتكنولوجيا.

في فصل (ترى بورا) عكست الكاتبة النفس العراقية المغتربة وما يخالجها من قلق وهموم بشكل واضح وقريب جدا من واقع الإنسان العراقي .من خلال سردها أحداثا كثيرة مرت بالعراق خلال السنوات الماضية بعد الاحتلال الأمريكي أعادت إلى الذاكرة أموراً كثيرة ربما غابت عن الكثيرين بأسلوبها القصصي المشوق جدا والذي لا يحس معه القارئ بالملل أ بدا.

لقد غُبن حق الروائية سميرة المانع كونها احد أعمدة الرواية العراقية المعاصرة، وكونها كاتبة شديدة الحساسية بمعاناة شعبها ووطنها الأم ..

وحبذا لو تلتفت وزارة التربية لمثل الأديبة المبدعة وجعل قصصها ورواياتها من ضمن المناهج التعليمية ، فيتعلم منها النشء تاريخنا الذي طُمست معالمه ..